المحاضرة رقم 1:

علم اللغة النّفسي: المفهوم والنشأة..

تمهيد:

علم اللغة النفسي أو اللسانيات النفسيّة: فرع من فروع علم اللغة، يقع بالضبط في الجانب التطبيقي منه، أي إنها فرع من فروع اللسانيات التطبيقية؛ ،بالنّظر إلى أنّ معظم موضوعاته المعاصرة تقع في هذا الجانب، بالرغم من أنّ أغلب هذه الموضوعات والقضايا نشأت نشأة نظريّة فلسفيّة، خاصّة مع الباحث اللغوي النفسي (تشومسكي) وأتباعه الذين لم يهتمّوا بالجوانب التطبيقيّة لهذه الموضوعات.

وتعدّ اللسانيّات النفسيّة فرعا حديثا لم يستقل بذاته إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، ويعدّ نقطة الالتقاء والتّزاوج بين علم اللغة، وبين علم النّفس، بتأثير من النّظرة العقليّة المعرفيّة للغة، ووظائفها وطرائق اكتسابها وأساليب تعلّمها، ولذلك فإنّ هذا الفرع التطبيقي هو ميدان مرن، وحقل للامتزاج والتّفاعل بين المعرفة النّفسيّة العقليّة، وبين المعرفة اللسانيّة الفطريّة؛ أي بين علم النفس المعرفي، وبين علم اللغة العقلي (الاتّجاه التوليدي التحويلي)، في مقابل ما كان سائدا من تزاوج بين علم النفس السّلوكي، وبين علم اللغة النيوي.

1- تعريف علم اللفة النّفسي:

لهذا العلم عقدّة تعاريف تتفق في جوانب، وتختلف في أخرى؛ حيث تطالعنا الأدبيّات النفسيّة اللغويّة بعدد من التعاريف تعكس المنطلقات الفكريّة والخلفيّات المعرفيّة لأصحابها، ونظراتهم لهذا العلم وتصنيفه، وترتيب موضوعاته وقضاياه.

وقد عرّفه (دافيد كريستال) في معجمه اللغوي النظري بأنّه "فرع من فروع علم اللغة يدرس العلاقة بين السّلوك اللغوي، والعمليّات العقليّة التي يُعتقد أنها تفسّر هذا السّلوك"

أمّا (جاك ريتشاردز)، و(جون بلات)، و(هايدي بلات)، فيوردون تعريفا لهذا العلم في المعجم اللغوي التطبيقي مفاده: "هو العلم الذي يهتم بدراسة العمليّات العقليّة التي تتم أثناء استعمال الإنسان اللغة، فهما وإنتاجا، كما يهتمّ باكتساب اللغة نفسها".

أمّا عالم اللغة النّفسي (ألن جارنهام)، فيعرّفه بأنّه: " علم يدرس الآليّات العقليّة التي يستطيع الإنسان بواسطتها استعمال اللغة، للوصول إلى نظريّة مفهومة تفسّر إنتاج اللغة واستعمالها."

أمّا الباحثة النّفسيّة (جين بيركو غليسون) فتعرّفه بأنّه: "العلم الذي يهتم بالكشف عن العمليّات النّفسيّة التي تقود الإنسان إلى اكتساب اللغة واستعمالها."

وغير بعيد عن هذا التّعريف نجد تعريف الباحثة النفسيّة (جين كيرون)؛ حيث ترى إنّه

" الدّراسة العلميّة التّجريبيّة للعمليّات النفسيّة التي تحدث في داخل العقل البشري، التي بها يكتسب الإنسان اللغة الطّبيعيّة ويستعملها."

والملاحظ انّ هذه التعاريف كلّها تتفق في كون علم اللغة النفسي يدرس العمليّات العقليّة والمعرفيّة التي تمكّن الإنسان من اكتساب اللغة، واستعمالها فهما وإنتاجا، لكنّها تختلف في تصنيف هذا العلم وترتيب موضوعاته وقضاياه من حيث الأهميّة، فالتّعاريف الثلاثة الأولى تنظر إليه نظرة لغويّة نفسيّة، أمّا التعاريف التي تليها فتنظر إليه نظرة نفسيّة لغويّة.

2- نشأة علم اللغة النّفسي وتطوّره:

كانت دراسة القضايا اللّغويّة النّفسيّة تتمّ داخل علم النّفس،، أمّا علم اللغة النّفسي فنشأ كعلم مستقل بذاته بعد أن طرح تشومسكي آراءه ونظريّاته التي انتقد فيها اللغويين البنيويين والنفسانيين السلوكيين، وتعدّ هذه الآراء ثورة حقيقيّة في مجال الدرس اللغوي الحديث، من حيث المنطلقات الفكريّة والابستيمولوجيّة؛ إذ تساءل تشومسكي عن ماهية اللغة وطبيعتها، وعن وظيفتها، وعن كيفيّة اكتسابها وتعلّمها، وأكثر من ذلك دعا إلى دراسة موضوعات جديدة لم تكن تُطرح في مجال الدراسات اللغويّة النّظريّة كأساليب اكتساب اللغة وتعلّمها.

إنّ نظرة تشومسكي إلى اللّغة كملكة عقليّة، ونظام فطري كامن في ذهن الإنسان، ينبغي التعمّق في دراسته، والإحاطة بجوانبه وأسراره، جعل الجوانب العقليّة والمعرفيّة موضوعا لعلم اللغة العامّ، في إطار التوجّه الذي رسمه تشومسكي، ولذلك فإنّ الموضوعات التي طُرحت للدراسة في ظلّ هذا التوجّه تعدّ من صميم الدراسة اللغويّة النفسيّة التطبيقيّة، وليس النّظريّة، وكأنّ تشومسكي عالم لغة نفسي تطبيقي، وليس عالم لغة نظري،، فموضوع علم اللغة النفسي إذن هو نفسه موضوع علم اللغة اللعة النظري بالمفهوم الفطري العقلي الحديث، أي دراسة اللغة نعم، ولكن للوقوف عند ما يعرفه الإنسان عن اللغة، وليس وصف اللغة نفسها وصفا شكليا (صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا).

وهكذا، فإنّ علم اللغة النفسي قد نشأ نشأة نظريّة فلسفيّة في بدايته، أمّا اليوم فقد تطوّر هذا العلم وأصبح له مجالاته الخاصّة، كفرع من فروع علم اللغة التطبيقي، يهتم بالجوانب العقليّة والمعرفيّة للغة.

3- علم اللغة النّفسي أم علم النفس اللغوي؟

يجب تحديد المصطلح بشكل دقيق بغرض ضبط المجال وحدود دراسته، وفي هذا المجال يبرز مصطلحان هما: علم النفس اللغوي، وعلم اللغة النفسي، فهل هما مصطلحان مترادفان، وتسميتان تدلّلان على مسمّى واحد؟ أم إنّهما مصطلحان مختلفان، ولكلّ دلالته ومجاله؟

يرى عدد من الباحثين المختصّين أنّ المصطلحين مترادفان، يدلّان على علم واحد، عُرف أوّل الأمر بعلم النّفس اللّغوي، ليصبح فيما بعد معروفا باسم علم اللغة النّفسي، كغيره من العلوم النّفسيّة المرتبطة بعلوم أخرى، كعلوم التّربية، والصحة، والاجتماع، واللغة، وما شابهها من العلوم التي تفرّعت عنها علوم مركّبة، مثل علم النفس التربوي، وعلم النفس العيادي، وعلم النفس الاجتماعي، بالإضافة إلى علم النفس اللغوي.

غير أنّ المتتبع للدراسات النّفسيّة والتربويّة واللغويّة، يدرك وجود فرق بين المصطلحين، في الاستعمال والدلالة على الفرع المعرفي، من ناحيتين: ناحية تاريخيّة، وأخرى وظيفيّة.

فمن النحيّة التاريخيّة؛ يعدّ علم النفس اللغوي أسبق في الظهور والنشأة من علم اللغة النفسي، فقد ظهر الأوّل في أواخر القرن التاسع عشر، أمّا الثاني فلم يستقل بذاته إلا في بداية السّتينات من القرن العشرين، وقد بدأ الثاني حيث انتهى الأوّل.

أمّا من الناحية الوظيفيّة؛ فيعدّ علم النفس اللغوي فرعا من فروع النفس، يهتم بدراسة اللغة كمكوّن من المكوّنات النفسيّة، ويعدّها أداة للكشف عن الظواهر النفسيّة، كالذّكاء، والانتباه، والذاكرة، والخوف، وعيوب النطق، وتحديد دورها في السّلوك النفسي. أمّا علم اللغة النّفس _كفرع من فروع علم اللغة_ فيهتمّ أصحابه بدراسة اللغة كهدف وليس كأداة، من حيث الجوانب النّفسيّة، والعمليّات العقليّة ذات الصلة بها، وقد ظهر علم اللغة النفسي كفرع تطبيقي مكتمل الأركان بعد تغيّر النّظرة إلى اللغة، والبحث في طبيعتها وكيفيّة اكتسابها وتعلّمها، والبحث في حقائقها الكامنة في الذهن، لأنّ اللغة في جوهرها بنى عقليّة تعبّر عنها سلوكات لفظيّة، تحققها بنى شكليّة.

وسواء أستعملنا مصطلح علم النفس اللغوي، أم استعملنا مصطلح علم اللغة النفسي، فكلاهما يعبّر عن العلاقة الوطيدة بين علم النفس، وبين علم اللغة، بسبب العلاقة بين اللغة والعمليّات النّفسيّة.